

اجتهادات التصحرُ فرنسى أم أمريكى؟

ربما لا يكون البحث فى كيفية الوصول إلى حالة التصحر الفكرى والفلسفى فى العالم مجديًا بمقدار السعى إلى استكشاف هل يمكن وضع حدٍ لها، ومتى أو فى أى سياق. ولا يعنى هذا إنكار أهمية البحث فى مصدر هذا التصحر. غير أن الإشارة إلى هذا التصحر فى اجتهاد 4 يوليو (أيام فى باريس) لم يُقصد بها ارتباطه بفرنسا. ولكن لأن موضوع الاجتهاد عن باريس، فقد فهم أنها تتحمل مسؤولية عنه، كما جاء فى بعض التعليقات عليه تساؤلًا تارةً واستنكارًا تارةً أخرى. وإذ لا محل لاستنكار ما لم يُقصد، يدفع التساؤل إلى التفكير فى مسؤولية التجربة الأمريكية عن التصحر الفكرى والفلسفى. فقد أسست الولايات المتحدة على نزعةٍ محض عملية كان مثلها الأبرز أشخاصًا وصلوا إلى أمريكا سعيًا إلى حياةٍ أفضل حققها كثيرٌ منهم عن طريق العمل بمنأى عن الفكر. فالعمل والمال والبيزنس، فى هذه التجربة، أهم

من الفكر. وما الصورة التي رُسمت للآباء المؤسسين بوصفهم كانوا مثقفين إلا صورةً لا أكثر. وحده توماس جيفرسون كان مثقفًا حقًا، ولكنه تعرض لسخرية مُتكررة، وقيل مثلاً إنه ضل طريقه إلى السياسة بدل التعليم. ومع الوقت تنامت أهمية العلماء والخبراء التقنيين، بينما بقي المفكرون في مرتبةٍ أدنى، إذ رُبِطت العبقريّة غالبًا بالثروة. وقد انتقلت هذه الثقافة المجتمعية الآن إلى فرنسا. وسعى ريجيس دوبريه مثلاً، في كتابه (الحضارة) 2017، إلى شرح كيف أصبح الفرنسيون يشبهون الأمريكيين. ويرى مثقفون فرنسيون كبار أن إيمانويل ماكرون يُجسّد هذه الحالة. سياساته ليبرالية جديدة، وهو قادم من عالم المصارف في عصر الرأسمالية المالية التي قاد أمريكيون التحول إليها في النظام الرأسمالي العالمي وتوابعه في كل مكان. ورغم أنه يعتبر نفسه مثقفًا، فهو يشبه المسؤولين الأمريكيين الذين ينفرون من الفكر والفلسفة. ويهاجم مثقفين يختلفون معه بدل أن يناقشهم، رغم أنه تلميذ المفكر الكبير بول ريكو. وليس هذا إلا جزءًا من تغيير حدث في

العالم منذ أواخر القرن الماضي، وأدى إلى التصحر
الفكرى الغالب فى العالم الآن.